﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطّور: 25 - 28]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قَبْلَها:

الاجتماع مع الأحبّة يعقبُه الحديثُ عن سابق الحال وحُسن المآل

لمّا ذكر النّظمُ الجليل في الآيات السّابقة أنّه ألحق ذرّيّاتهم بهم في رتبتهم، وكان ألذُّ ما يأنسُ به الإنسانُ حديثَه مع أحبّته؛ بيّن النّظمُ الجليل في هذه الآيات حديثَهم وتذكُّرَ حالِهم في الدّنيا، وثناءَهم على الله تعالى بحُسن إنعامِه عليهم، وأنّهم إذ يتنعّمون في هذا النّعيم، فإنّهم يتذكّرون حالَهم في دنياهم، وما لابسهم فيه من خشية ربّهم والخوف منه، فنالوا الأمانَ والسّلام بعد الإشفاق والخوف[1].

ومنها: لمّا ذكرتِ الآياتُ السّابقة نعيمَ أهلِ الجنّة فيها من النّاحية المادّيّة والمعنويّة؛ جاءت هذه الآياتُ لتستكملَ صورَ هذا النّعيم، وذلك بتَحدُّثِهم بتلك الأحاديث المُسْعِدة التي يذكرون بها فضلَ الله عليهم وإحسانَه إليهم، بإنزالهم هذا المنزلَ الكريم بعد أن نجّاهم من البلاء ووقاهم عذابَ السَّموم[2].

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿فَمَنَّ﴾: (منّ) أصلٌ يدلّ على اصطناع خير[3]، والمَنّ: الإحسان الذي تَمُنّ به على من لا يَسْتَثيبُه. والله المنّان علينا بالإيمان والإحسان في الأُمور كُلِّها[4]. والمِنَّةُ: النّعمة الثّقيلة، مَنَّ فلان على فلان: إذا أثقله بالنّعمة، وعلى ذلك قوله: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 18، والمراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 25، 28.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 9/ 568.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (من).
(4) الخليل، العين: (منن).

عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: 164][1]. والمُراد به في الآية الكريمة: أحسنَ علينا بالمغفرة والرّحمة[2].

2) ﴿ٱلسَّمُومِ﴾: (سمّ) أصلٌ يدلُّ على مدخلٍ في الشّيء، كالثّقب وغيرِه، ثمّ يشتقّ منه. فمن ذلك السَّموم: الرّيح الحارّة، لأنّها أيضًا تُداخِل الأجسامَ مداخلةً بقوّة[3]. وسَموم بيّنُ السُّمّ، وحَرور بيّنُ الحَرِّ. وقد سُمَّت لَيلتُنا وأسمّت[4]. والسَّمومُ: الرّيحُ الحارّة التي تُؤثّر تأثيرَ السّمّ، قال تعالى: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[5]. والمراد به في الآية الكريمة: "الرّيح الحارّة التي تدخل المسامّ، فسُمّيت بها نارُ جهنّم لأنّها بهذه الصّفة"[6].

3) ﴿ٱلۡبَرُّ﴾: (برّ، برر): أصلُه يدلّ على انبساط عظيم مع تجرّد أو انكشاف[7]. والبِرُّ، أي: التّوسّع في فعل الخير، ويُنسَب ذلك إلى الله تعالى تارةً، نحو: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾[8]. والبَرُّ من صِفات الله: العَطوف الرَّحيم اللَّطيف الكَريم[9]، وقد يُنسَب إلى العبد تارةً؛ فيقال بَرّ العبدُ ربّه؛ أي: تَوسَّع في طاعته، ويكون معناها بالنّسبة لله تعالى الثّواب، ومن العبد الطّاعة. والمراد به في الآية الكريمة: المُحسِنُ[10].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

امتنانُ أهلِ الجِنان برحمة الرّحمن

يخبر النّظمُ الكريم عن تنعّم أهلِ الجنّة بما هم فيه، ومن ذلك: أنّهم يُقبِلون على بعضٍ متسائلين عن أحوالهم في الدّنيا، فيتذكّرون

(1) الرّاغب، المفردات: (منن).
(2) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 385.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سم).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (سمم).
(5) الرّاغب، المفردات: (سمم).
(6) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 385.
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (برر).
(8) الرّاغب، المفردات: (بر).
(9) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (برّ).
(10) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 385.

كيف كانوا خائفين من عذاب الله وهم بين أهليهم، فَدعَوا الله بإخلاص، فمنَّ الله عليهم بالهداية والتّوفيق فَرحمَهم ووقاهم عذابَ السّموم، وأدخلهم برحمته في جناته استجابةً لضراعتهم بقولهم: وإنّا كنّا في الدّنيا نضرع إليه وحدَه أن يَقينا العذابَ الحارّ الشّديدَ حرُّه، ويوصلَنا إلى النّعيم، فاستجاب لنا وأعطانا سؤالَنا، لأنّه هو البَرُّ المحسِنُ إلى عباده، الرّحيم بهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ﴾:

عطف النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ على الجملة في قوله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ﴾[2]، أو على قوله تعالى: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾[3]، فهو من تمام وصفِ مجالسهم التي يتنازعون فيها الكأسَ، ويطوف عليهم فيها الخَدَمُ ويتنادمون فيما بينهم عمّا سلف منهم في الحياة الدّنيا.

من تمام التّنعيم محادثةُ الأحبّة في دار النّعيم

نُكْتَةُ التّعبير بالإقبال مادّةً وصيغةً:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإقبال في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾؛ للدّلالة على أنّهم يُقْبِل بعضُهم على بعض مواجهةً؛ لأنّ الإقبال هو الإتيان من الأمام وجهةَ الوَجهِ[4]. وفي التّعبير به إشارةٌ إلى صفاء القلوب وسلامة الصّدور من الغِلّ والحِقد الذي كان في الدّنيا، قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحجر: 47]. وجاء التّعبيرُ بالفعل الماضي للدّلالة على تأكيد تحقّقه، فهو من حكاية المستقبل بالفعل الماضي، إشارةً إلى يقين تحقّقه، فجعله كأنّه حكايةُ حالٍ ماضية.

الإقبال في تلك الجنان بين المتحابّين من كمال النّعيم

(1) جماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 524، وينظر: السّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 815.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 24.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 56.
(4) محمّد الهلال، تفسير القرآن الثّريّ: 27/ 55.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ مع دلالة الإضمار:

عبّر القرآنُ الكريم بالبعضيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، دون التّعيين والتّحديد؛ ليَعُمّ الجميعَ من الآباء والذّرّيّة والأحباب والأصدقاء؛ بخلاف ما لو عبّر بالإظهار؛ فإنّه يشمل فئةً دون فئة، والمقام مقامُ امتنان؛ فالعموم أولى، ولذلك كان عَوْدُ الضّمائر على عموم المتّقين المَذكورين في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ﴾، وعلى ذرّيّتهم في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1]. فالتّساؤل واقعٌ بين أهل الجِنان عن سابق الأحوال. وفي التّعبير بالبعضيّة إشارةٌ إلى شدّة الاتّصال والتّآلف؛ لأنّ البعض جزءٌ من البعض، لا ينفكُّ عنه.

الآباء والأبناء والذّرّيّات في حِوارٍ عن سالف الأخبار

دلالة التّعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾:

دلّ التّعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰ﴾ الذي يفيد التّمكّنَ على شدّة الإقبال من بعضهم لبعض؛ وذلك بتوجُّهه بكامل وجهه، وفي ذلك إشارةٌ إلى أدب الحديث مع الآخر، بأن يُقْبِل عليه بوجهه كاملًا.

من أدب الحديث مع الآخر أن يُقْبِل عليه السّامع بوجهه كاملًا

نُكْتَةُ تنكير ﴿بَعْضٍ﴾:

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بلفظ ﴿بَعْضٍ﴾ مُنَكَّرًا في قوله جلّ شأنه: ﴿عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، فلم يقل: (على بعضهم) كما سبق ذِكْره؛ وذلك للدّلالة على التّعميم، أي: "يسأل كلُّ بعضٍ منهم بعضًا آخرَ عن أحواله وأعماله، فيكون كلُّ بعضٍ سائلًا ومسؤولًا، لا أنّه يسأل بعضٌ معيّن منهم بعضًا آخر معيّنًا"[2].

كلّ امرئ منهم يَذْكُر للآخر ما كان من حاله

دلالة التّعبير بالتّساؤل مادّةً وصيغةً:

عبّر النّظم الجليل بلفظ التّساؤل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ دون غيره كالكلام والحديث؛ للدّلالة

من لطيف المسرّات معرفةُ أسبابِ دخولِ الجنّات

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 56.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 149.

على أنّهم يتكلمون عن أحوالهم في الدّنيا بصيغة السّؤال، بأن يسأل بعضُهم بعضًا عن السّبب الذي بلغ بهم إلى دار النّعيم، ولايتأتى ذلك من التّعبير بالكلام أو الحديث؛ لأنّه قد يكون من طرف واحد بخلاف التّساؤل، فلا بدّ من وجود طرفين؛ يُؤكِّدُ ذلك أنّ فعلَ التّساؤل جاء على صيغة التّفاعل؛ للدّلالة على أنّهم يتشاركون ذلك الفعل[1]. وجيءَ بالفعل المضارع للدّلالة على تجدُّد ذلك ودوامِه للمُؤانسة والاستمتاع.

دلالةُ حذفِ متعلِّق ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾:

عـمـوم الأقـوال والأعـمـال التي هـي سبب هـذه الأحوال

حُذِفَ متعلِّق الفعل ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ للدّلالة على العموم؛ فيرد السّؤال على الأقوال والأعمال التي هي سبب هذه الحال؛ كأن يقول: بأي عملٍ في الدّنيا نِلْتَ هذه الأحوالَ والدّرجات الرّفيعة؟[2].

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾:

تـسـاؤلـهـم إنّـمـا كـان عن أحـوالـهـم بين أهاليهم

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ لأنّها مستأنَفَةٌ لبيان تساؤلهم في قوله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، فهم في تساؤلهم فيما بينهم يقولون هذه المقالة[3]. فالاستئناف بيانيٌّ، فكأنَّه قيل: ماذا قال بعضهم لبعض في التّساؤل؟ فقيل: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ أي: قال المسؤولون[4].

دلالةُ التّعبير بالقول دون الجواب:

التّعبير بالقول أعـمّ؛ فيشملُ الجوابَ وغيرَه

جاء التّعبيرُ القرآنيُّ بلفظ القول في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ مع سبق التّساؤل في قوله: ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، الذي يقتضي وجودَ الجواب، بأن يقول: (أجابوا)؛ لكنّه عدلَ إلى القول لأنّه أعمّ؛ فيشملُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 18.
(2) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 249.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 56.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 63.

الجوابَ وغيرَه، وللدّلالة على أنّ التّساؤل لم يكن من قبيل الاختبار، بل من قبيل التّذاكر للماضي.

فائدة تتابع المؤكّدات في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾:

أكّد النّظمُ الجليل الخبرَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ لتقوية الخبر. وفيه إشارةٌ إلى كمال تلذُّذِهم بما أهَّلَهم إلى ما هم فيه من النّعيم؛ لأنّه من العظَمة والأمان بحيثُ لا يكاد يُصدّق[1].

الإشفاق من الجليل سبيلٌ الوصول إلى دار اليقين

نُكْتَةُ دخولِ فعلِ الكَوْن:

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ للدّلالة على رسوخهم في الإشفاق، كما أنّه يُشير إلى أنّهم أسندوا ذلك العملَ إلى الله تعالى، فهو الذي جبلهم جِبِلّةَ خيرٍ ووَفَّقَهم إليه[2].

الإشفاقُ صفةٌ راسخة في المؤمنين

دلالة التّعبير بالظّرفيّة ﴿قَبْلُ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بالظّرف ﴿قَبْلُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ للدّلالة على أنّ الإشفاق كان في دار العمل[3]، وهو أنسب لحكاية أحوالهم في الدّنيا، فهو تلذّذ بانتهاء زمان القبليّة الذي كانوا مشفقين فيه.

الدّنيا دارُ خوفٍ وإشفاق انتهى، والجنّة دارُ أمن وسلام

دلالة التّعبير بشِبه الجملة ﴿فِيٓ أَهْلِنَا﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بشِبه الجملة ﴿فِيٓ أَهْلِنَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ وذلك للإشارة إلى كمال إشفاقهم، فإنّ "كونهم بين أهليهم مَظِنّةَ الأمن"[4]؛ وذلك لما لهم من العَدَد والعُدّة والنّعمةِ والسّعة؛ فمَن أشفق حيثُ موئلُ الأمان كان إشفاقُه شديدًا عظيمًا؛

المشْفِقُ بين أهله أشدُّ إشفاقًا من سواه

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 19.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 19.
(3) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 115.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 63.

وذلك لأنّ لفظ الأهل يُطْلَق على الدّائرة المحيطة بالإنسان من الذّرّيّة والزّوجة والأقارب، وهذا من صلاحهم وقوّةِ إيمانهم بالغيب.

دلالة التّعبير بـ﴿مُشْفِقِينَ﴾ مادّةً وصيغةً:

شدّةُ الخوف مع الحَذَر

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالإشفاق في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ دون الخوف؛ لأنّه يدلّ على دوام الخوف والحذر مع اقترانه بالتّرحّم؛ وذلك بأن يَشُقّ على النّفس قبلَ أن تجمح إلى العِناد، وله أقسام: إشفاقٌ على العمل أن يصير إلى الضّياع، وإشفاقٌ على الوقت أن يشوبه تفرّقٌ، وعلى القلب أن يمازجَه عارضٌ، وعلى النّفس أن يُداخِلَها سببٌ، وكلّ هذه المعاني تؤكّدُ شدّةَ خوفِهم وحَذَرِهم من ملاقاة ربّهم؛ لذلك جاء التّعبير باسم الفاعل للدّلالة على كمال الاتّصاف بهذا الوصف، أي: عريقين في الخوف من اللّه تعالى[1].

نُكْتَةُ حَذْفِ متعلّق ﴿مُشْفِقِينَ﴾:

الدّلالة على عموم ما يُشْفَق منه

حذفَ النّظمُ الجليل متعلّقَ الإشفاقِ في قوله جلّ شأنه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، فلم يبيّنوا من أيّ شيء أشفقوا؛ وذلك للدّلالة على عموم ما يشفق منه، أي: خائفين من عصيان اللّه تعالى، وما يتبعه من سوء العاقبة[2].

دلالة التّعبير بالفاء في قوله: ﴿فَمَنَّ﴾:

ما ألذّ النّجاةَ بعد الخوف والمحاذَرة

افتتح النّظمُ الجليل الآيةَ بالفاء العاطفة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾، فعطف الامتنانَ على مقولِ القول في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، فكِلا الجُملتَين من مقولهم[3]. ودلّت الفاءُ على أنّ الامتنان بالإنجاء من العذاب كان بسبب الإشفاق[4] في دار الدّنيا.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 19.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 150.
(3) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 25.
(4) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 115.

دلالة التّعبير بالمَنّ في قوله: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾:

عبّر بالمَنّ لعظَم النّعَمِ المُنعَم بها

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بالمَنّ دونَ غيره؛ لأنّه لا يُطْلَق إلّا على النّعمة الثّقيلة؛ يقال: مَنَّ فلانٌ على فلان، إذا أثقله بالنّعم، ولما كان الأمر يتعلّق بمغفرة الله ورحمته ودخول الجنّات عبّر بالمَنّ؛ لعظَم هذه النّعم.

نُكْتَةُ إسناد المَنّ إلى لفظ الجلالة:

امتنانٌ ذي الجلال والإكرام أتمُّ امتنانٍ وأكملُه

أسند النّظمُ الجليل المَنّ إلى لفظ الجلالة في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾؛ للدّلالة على كمال إنعامه تعالى عليهم، فهو الإله الذي له جميع صفات الكمال والجلال[1].

دلالة التّعبير بحرف الاستعلاء (على):

تمكُّن مِنَّة الله تعالى على أهل الجنّة كمالَ التّمكُّنِ ومنتهاه

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجرّ (على)، الدّالِّ على الاستعلاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ للدّلالة على تمكُّن منَّتِه تعالى عليهم كمالَ التّمكُّنِ ومنتهاه، وفيه إشارة إلى عظيم امتنانه، وأنّه محضُ فضلٍ تفضّل به عليهم.

دلالة عطفِ الوقاية على الامتنان:

الامتنان إنّما يكون بإدخالهم الجِنان، وإنقاذِهم من النّيران

عطف النّظمُ الجليل الوقايةَ على الامتنان في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[2]، وفائدةُ العطفِ: الدّلالةُ على أنّ المَنّ والإنعام إنّما كان بإدخالهم الجنّةَ والتَّنَعُّمِ بها، وهذا ما دلّ عليه قولُه تعالى: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾[3].

دلالة التّعبير بفعل الوقاية مع دلالة نون الجماعة:

عبّر النّظمُ الجليل بالوقاية في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾؛ للدّلالة على أنّه تعالى جنّبهم العذابَ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 20.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 292.
(3) إسماعيل حقّي، روح البيان: 9/ 197.

جنّب الله أهلَ الجنّة العذابَ وسترهم منه برحمته

وسترهم برحمته[1]، ويُؤكّد ذلك أنّ فعل الوقاية يَرِد في القرآن في النّجاة من العذاب في الآخرة. وممّا يُذْكَر في سِرّ التّعبير بنون الجمع في قوله: ﴿وَوَقَىٰنَا﴾ أنّه لمّا كان عذاب الذُّرّيّات يَحْزُنُ الآباءَ؛ جُعِلَت وقايةُ الذُّريّات بمنزلة وقايةِ الآباء؛ فقالوا: ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾؛ إغراقًا في الشّكر منهم وعن ذُرّيّاتِهم[2].

نوع الإضافة في قوله: ﴿عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾:

عذاب السّموم هو عذاب النّار المُحْرِقة

أضاف النّظمُ الجليل لفظَ العذابِ إلى السّموم في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾، وهي إضافة حقيقيّة للتّعريف، فالعذابُ إنّما هو عذاب النّار التي تدخل المسامّ بحرارتها[3]، فعذابُ السّموم هو عذاب نار جهنّم.

دلالةُ التّعبير بالسّموم:

تخللها مسامّ الجِلد وتأثيرُها فيه

عبّر النّظمُ الجليل بالسّموم تعبيرًا عن عذاب النّار في قوله جلّ شأنه: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾؛ للدّلالة على ريح جهنّم والحرّ فيها، فأطلقت عليها لنفوذ حَرّها في المسامّ كالسّموم، والسّموم: هي ريحٌ شديدة الجفاف والحرارة، تهبُّ من جهة واحدة، فذَكَر السّمومَ ليُعْلِمَهم بحرارتها؛ قياسًا على ما عهدوه من الرّيح في حياتهم[4]. ولأنّها تتخلّل مسامّ الجسم وتؤثّر فيه كما يُؤثّر السّمّ في الجِلْد، وفي ذلك إشارةٌ إلى الألم الشّديد للمُعَذَّب بنار السّموم.

نُكْتَةُ فصل قولِه: ﴿إِنَّا كُنَّا﴾:

ترتُّبُ الامتنان على سابق الدّعاء

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّها مستأنَفَة استئنافًا تعليليًّا، سيقت

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 115.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 57.
(3) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 194.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 57.

لبيان عِلّة مِنّة الله تعالى عليهم[1]، فالامتنانُ بسبب تقدّم الدّعاءِ، وهذا يُشير إلى أنّهم عظّموا أمرَ الله فنالوا أحسنَ الجزاء[2]. ولأنّ هذه الجملةَ بيانٌ لإشفاقهم المذكور في قوله: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾، ولبيان اعترافهم باستجابة الله لدعائهم.

سرُّ تتابعِ المؤكِّدات في الآية:

أكّد النّظم الجليل الخبر في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ﴾ بعِدّة مُؤكّدات؛ تقويةً للخَبَر وتأكيدًا لإشفاقهم المذكور سابقًا[3]، وفيه إشارةٌ إلى كمال تعبّدهم ودعائهم.

تقويةُ الخبر وتأكيدُ إشفاقهم، والإشارة إلى كمال تعبّدهم ودعائهم

نُكْتَةُ دخولِ فعلِ الكَوْن:

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ﴾؛ لبيان شدّة اتّصافهم بصفة الدّعاء والعبادة، فهي رسخَت فيهم كرسوخ من طُبِع على الشّيء[4].

سرّ ذِكْر ﴿مِن﴾ في هذه الآية، وعدمُ ذِكْرها مع الآية السّابقة:

أدخل النّظمُ الجليل حرفَ الجرّ ﴿مِن﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ ولم يَذكُرْه في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾؛ وذلك لأنّ الدّعاء بمعنى فعل العبادة يقع في بعض الزّمان، فأثبت حرفَ الجرّ، أمّا التّحلّي بالفضائل كالخوف من الله تعالى، والتّخلّي عن الرّذائل؛ لا بدَ فيه من البراءة عن كلَ قليل وكثير، وهذا يشمل كلّ الزّمان[5].

الدّعاء بمعنى فعل العبادة يقع في بعض الزّمان

نكتة دخول الظّرف ﴿قَبْلُ﴾:

عبّر النّظم الجليل بظرف الزّمان ﴿قَبْلُ﴾ الدّالّ على زمان

النّعيم في الجنّة منّة على الأعمال الصّالحة في الدّنيا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 57.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 8/ 104.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 20.
(4) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 116.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 20.

القبليّة في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ دون أن يقول: (إنّا كنّا ندعوه)؛ وذلك للدّلالة على أنّ ما قصدوه دعاؤهم الذي كانوا يأتون به في الدّنيا[1]، فَهُم يتحاورون ويتجاذبون أطراف الحديث عن أحوالهم في الدّنيا.

سرّ التّعبير بقوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الدّنيا:

جاء التّعبيرُ بقوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الدّنيا دون ذِكْرها صراحةً لدلالة السّياق عليها؛ فما سبق ذِكْره من الإشفاق يُدَلِّل عليها، وكذا أمرُ الدّعاء واقعٌ فيها؛ لأنّها دارُ التّكليف، وأيضًا لانقضاء زمانها.

دلالة التّعبير بالدّعاء مادّة وصيغةً:

الـدّعـاء رأس العبادات

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالدّعاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ دون نعبده؛ لأنّه لفظٌ عامٌّ يشمل العبادة والتّوحيد والتّضرّع بكلّ صوره؛ بخلاف ما لو عبّر بالعبادة فقط، فإنّها قد تنصرف إلى التّكاليف، وعبّر بالمضارع للدّلالة على تجدّد دعائهم واستمرارهم فيه، وأنّه دأبٌ نهجوا عليه، واشتغلوا به على مرّ الزّمان.

نُكْتَةُ حذفِ متعلّق ﴿نَدْعُوهُ﴾:

دعاؤهم يشمل كلَّ أبوابِ الخير

آثَر النّظمُ الكريم حذفَ متعلّقِ فعلِ الدّعاء في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾؛ وذلك للتّعميم وللشّمول، أي: كنّا نبتهل إليه في أمورنا. كما أنّه يتناول دعاءَهم لأنفسهم ولذرّيّتهم بالنّجاة من النّار، ونوالِ الجنان[2].

سرّ تقديم جملة: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾:

الـدّعـاء موجِبٌ لبِرّ الله ورحمتِه

قدّم النّظمُ القرآنيُّ جملةَ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ على جملة: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّها تحمل الدّلالة على السّبب الأصليّ في الرّحمة، وهو العبادة بكلّ صورها، فكانت الموجِبَ لبِرّه سبحانه ورحمته[3].

(1) الخطيب، السّراج المنير: 4/ 116.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 57.
(3) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 251.

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾:

برّه ورحمتُه من أسباب استجابة الدّعاء

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّها مستأنَفَة استئنافًا تعليليًّا، سيقت لبيان علّة الدّعاء، ولبيان أنّه تعالى يستجيب دعاءَ الأبرارِ من عباده؛ لأنّه هو البَرّ الذي يُحْسِن لعباده، والرّحيم الذي وسِعت رحمتُه كلّ شيء[1].

دلالةُ تتابعِ المؤكّدات في فاصلة الآية:

رحمة الله تعالى بعباده على تقصيرهم أمرٌ يقتضي التّأكيد

أكّد النّظمُ الجليل الخبرَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ وذلك لأنّه إنعامُ الله تعالى عليهم مع كونهم لا ينفكّون عن التّقصير لا يفعله غيرُه، فهو ممّا يُعْجَبُ منه غايةُ العَجَب، وذلك ممّا يقتضي تأكيدَه[2].

أثر تعدّد القراءاتِ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ﴾:

تعددّت القراءاتُ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ بين فتحة همزة (إن) وكسرها؛ فقرأ نافعٌ وأبو جعفر والكسائيُّ بالفتح: ﴿أَنَّهُۥ﴾ على تقدير اللّام، والمعنى: ندعوه لأنّه هو البَرّ الرّحيم؛ أي: فَلِرَحمته يجيب مَن دعاه؛ فلهذا نَدعوه، وقرأ الباقون بكسر الهمزة على القَطْع والاستئناف[3].

سرُّ تذييلِ الآية الكريمة بهَذَين الوصفَين:

تناسُبُ البِرّ والرّحمة لمقام الإشفاق من الله

ذيّل النّظمُ الجليل الآيةَ بالوَصفَين الجليلين في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لمناسبته موضوعَ الدّعاءِ والعبادة، فـ ﴿ٱلْبَرُّ﴾ هو المُحْسِن المُنعِم على عباده، و﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ هو الكثيرُ الرّحمةِ، الذي إذا عبده عابدٌ أثابَه، وإذا سألَه سائلٌ أجابه[4].

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 28.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 20.
(3) ابن أبي مريم، الموضح في القراءات: 3/ 1214.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 8/ 150.

بلاغة القَصْر في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾:

كـمـالُ الـبِرّ والـرّحـمـة لا يكونان إلّا لله تعالى

قصرَ النّظمُ الجليل صفتَي البِرِّ والرّحمةِ على الله تعالى في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ وهو قَصْرٌ ادّعائيٌّ، فإنّ البِرّ والرّحمةَ حاصلةٌ فيما بين العباد، فَوَجْهُ حصرِها في الله تعالى المبالغةُ في عدم الاعتداد بما لدى غيرِه تعالى من تلك الصّفتَين[1]، فما لديهم بالنّسبة إلى صفات الله تعالى لا شيءَ يُذْكَر، ولا تصحّ المقارنةُ بحال؛ لأنّ صفاتِه كائنةٌ على وجه الكمال، وصفاتِ غيرِه على وجه النُّقصان، ولأنّها تختلف عن صفات البشر باعتبار عموم التّعلّق وباعتبار الدّوام؛ لأنّ الله بَرٌّ في الدّنيا والآخرة، وغيرُ الله بَرٌّ في بعض أوقات الدّنيا، ولا يملك في الآخرة شيئًا[2].

سرّ اختيارِ ﴿ٱلْبَرُّ﴾ دونَ غيرِه:

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بصفة ﴿ٱلْبَرُّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ مع أنّ معهود القرآنِ يجمع بين الرّحمن والرّحيم؛ فيقول: إنّه ﴿هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة: 163]؛ لكنّ التّعبير جاء: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنّ صفةَ البَرّ هي المناسبةُ لهذا السّياق؛ وذلك لما تحمله من معاني السّعَة؛ فهو الواسعُ الجود، الذي عطاؤُه حكمةٌ، ومنعُه رحمةٌ، ولأنّه لا يَنْقُصُه إعطاءٌ، ولا يزيده منعٌ؛ فهو يَبَرُّ عبدَه المؤمنَ بما يوافِق نفسَه؛ فربما بَرّه بالنّعمة، وربما بَرّهُ بالبُؤس؛ فهو يختار له من الأحوال ما هو خيرٌ له؛ ليوسِّعَ له في العُقبى[3].

سرّ تقديم البَرّ على الرّحيم:

البَرّ محسنٌ لمَن دعـاه بإجابة دعائه

قدّم النّظمُ الجليل ﴿ٱلْبَرُّ﴾ على ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ وذلك لأنّها الصّفةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 58.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 58.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/ 301.

الأخصّ بالنّسبة إلى الدّعاء، فهو البرّ الذي يُحْسِن إلى عباده باستجابة دعائهم، ولأنّ صفةَ البَرّ تحمل معنى السّعَة؛ فهو سبحانه يقبل كلّ ما يتقرّب به إليه العبد من إيمان وعمل صالح وأخلاق؛ أمّا الرّحيم فهو يتعلّق بكل أفعاله تعالى مع عباده، في الدّعاء وغيره[1] – فقدّم ما يتعلّق على وجه الخصوص بموضوع الآية.

❁ الفروق المعجميّة:

المَنّ والإنعام:

المـنّ أخـصّ من الإنعام

النِّعْمَةُ: الحالةُ الحَسَنةُ، والإنْعامُ: إيصالُ الإحسانِ إلى الغَيْرِ[2]. أمّا المَنّ فيَدلُّ على اصطناع خير[3]. والمَنّ: الإحسان الذي تمنّ على من لا يَسْتَثيبُه. والله المنّان علينا بالإيمان والإحسان في الأُمور كُلِّها[4]. وقال العسكريّ: "المِنَّة هيَ النِّعْمَة المقطوعة من جوانبها كَأَنَّها قِطْعَة؛ ولِهَذا جاءَت على مِثال قِطْعَة، وأصلُ الكَلِمَة القطعُ، ومِنْه قَوْلُه تَعالَى: ﴿لهمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنونٍ ۝٨﴾ [فصلت: 8] أي: غير مَقْطوع، وسُمّيَ الدَّهْر مَنونًا، لِأَنَّهُ يقطع بَين الإلف، وسمّي الاِعْتِداد بالنعْمَةِ مَنًّا لِأَنَّهُ يقطع الشُّكْرَ عَلَيْها"[5]. فالمَنّ هو نعمة مقطوعة، فهو أخصّ من الإنعام، فالإخبارُ عنِ امتنان الله تعالى عليهم للدّلالة على أنّها نعمة مقطوعة لهم، فهو تعالى قد أحسن عليهم بالمغفرة والرّحمة[6].

(1) النّخجوانيّ، الفواتح الإلهيّة: 2/ 359.
(2) الرّاغب، المفردات: (نعم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (من).
(4) الخليل، العين: (منن).
(5) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 197.
(6) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 385.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"